

سورة الحجر

٤٧ - قوله تعالى : ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (٢)

القراءة : اختلف القراء في قراءة قوله تعالى " رَبِّمَا يَوَدُّ .. " في تشديد الباء وتخفيفها . فقرأ عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين " رَبِّمَا " بتخفيف الباء ، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها . فقد قرأ نافع ، وعاصم بتخفيف الباء وقرأ الباقر بتشديدها . وهما لغتان مشهورتان^(١) . وروي أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ "ربما" مثقلة . فقد روى الحاكم في المستدرک فقال : أخبرنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه ، أنبأ علي بن الحسين بن علي بن الجنيد ، ثنا أبو الشعثاء ، ثنا خالد بن نافع الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا اجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من أهل القبلة من شاء الله ، قالوا : ما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا : كانت لنا ذنوب

(١) انظر : السبعة ص : ٣٦٦ ، والكشف ج ٢ / ٢٩ ، وتفسير البحر المحيط ج ٥ / ٤٣١ ، والكشاف ج ٢ / ٥٦٩ / ٥٧٠ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ / ٦ ، وتفسير الفخر الرازي ج ١٩ / ١٢٠ ، وزاد المسير ج ٧ / ١٣٧ ، وفتح القدير للشوكاني ج ٣ / ١٢١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ / ١ ، والتبصرة ص : ٢٣٨ ، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ١٣٨ .

فأخذنا بها ، فسمع الله ما قالوا ، قال : فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فيقول الكفار : يا ليتنا كنا مسلمين ، فنخرج كما أخرجوا . فقال : وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أَلَمْ تَلِكْ آيَاتِ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مَبِينٍ ، رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ " مثقلة . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(٢) . ووافقه الذهبي . وقال ابن جرير الطبري : والصواب من القول عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، فقد قرأ بكل واحدٍ منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب^(٣) . قلت : إذن القراءة المروية عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قراءة متواترة صحيحة . وقال أبو حاتم : أهل الحجاز يخففون ، ومنه قول الشاعر :

٢٧- ربما ضربة بسيف صقيل

بين بصرى وطعنة نجيلاء^(٤)

وقيس وتميم وربيعة يثقلونها ، وقد تزايد التاء الفوقية^(٥) . وبالتاء قرأ طلحة بن مصرف ، وزيد بن علي : رُبَّمَا ، وإذا اتصلت بها التاء جاز فيه الإسكان والفتح : كَثُمْتُ ولات ، فتكثر للألفاظ ، ولها أحكام كثيرة^(٦) .

(٢) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده ج ٢ / ٢٤٢ . والقرطبي في : الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ / ٢ .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ / ٦ .

(٤) البيت لعدي بن العلاء الفسائي ، انظر : خزانة الأدب ج ٢٨٢ / ٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ / ١ ، وفتح القدير للشوكاني ج ٣ / ١٢١ ، وتفسير الفخر الرازي ج ١٩ / ١٢٠ .

(٥) انظر : فتح القدير للشوكاني ج ٣ / ١٢١ ، وتفسير الفخر الرازي ج ١٩ / ١٢٠ .

(٦) انظر : الدر المنصور ج ٤ / ٢٨٥ .

و "رُبَّ" فيها قولان ، أحدهما : أنها حرف جر ، وزعم الكوفيون وابن الطراوة ، وأبو الحسن أنها اسم ، والأصل أن تستعمل في القليل ، وقد تستعمل في الكثير ، قال الكوفيون : أي يودّ الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين ، ومنه قول الشاعر :

٢٨- رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ

م وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْيَالٍ^(٧)

وقيل : هي هنا للتقليل لأنهم ودّوا ، ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم بالعذاب^(٨). وقال الفخر الرازي : وأقول في هذه اللفظة لغات ، وذلك لأن الراء من رب ، وردت مضمومة ومفتوحة ، أما إذا كانت مضمومة فالباء قد وردت مشددة ومخففة وساكنة ، وعلى كل التقديرات ، تارة مع حرف ما ، وتارة بدونها ، وأيضاً تارة مع التاء ، وتارة بدونها. وأنشدوا :

٢٩- أسمى ما يدريك أن رب فتية

بأكرت لذتهم بأذكر مسرع^(٩)

(٧) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص : ٢٥٣ ، ومغني اللبيب ج ٢ / ٦٧٣ ، رقم ٨٢٦ . وفتح القدير للشوكاني ج ٣ / ١٢١ وفي ديوانه بلفظ :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ م وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْيَالٍ

(٨) انظر : فتح القدير للشوكاني ج ٣ / ١٢١ ، والدر المنصور ج ٤ / ٢٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ / ١ .

(٩) ذكره الفخر الرازي في تفسيره ج ١٩ / ١٢٠ ، وهو في ديوان الهذليين ج ٢ / ٨٨ .

و "رب" بتسكين الباء وأنشدوا بيت الهندي :

٣٠- أَرْهَيْرُ إِنْ يَشْبِهَ الْقَذَالُ فَإِنِّي

رُبَّ هَيْضَلٍ مَرَسَى كَفَفْتُ بِهِيْضَلٍ^(١٠)

والهَيْضَلُ : جماعة متسلحة . وأيضاً هذه الكلمة قد تجيء حالتها تشديد الباء وتخفيفها مع حرف ما . كقولك : رَيْمًا ورَيْمًا ، وتارة مع التاء وحرف ما كقولك : رَيْتَمًا ورَيْتَمًا . هذا كله إذا كانت الراء من رب مضمومة ، وقد تكون مفتوحة ، فيقال : رب ، وربما ، ورَيْتَمًا حكاه قطرب . وقال أبو علي : من الحروف ما دخل عليه حرف التانيث نحو : ثم وثمت ، ورب وربت ، ولا ، ولات ، فهذه اللغات بأسرها رواها الواحدي في البسيط^(١١) . وقد أنكر أبو حيان أن تكون "رب" اسم وأنها تفيد التكثير فقال : ورب حرف جر لا اسم ، خلافاً للكوفيين ، والأخفش في أحد قوله ، وابن الطراوة ، ومعناها في المشهور التقليل لا التكثير ، خلافاً لزاعمه وناسبه إلى سيبويه ، ولمن قال لا تفيد تقييداً ولا تكثيراً ، بل هي حرف إثبات ، ودعوى أبي

(١٠) هذا البيت من كلام أبي كبير الهذلي ، وقد استشهد بالبيت البغدادي في الخزانة ج ٤ / ١٦٥ ،

ج ٩ / ٥٣٥ / ٥٣٦ / ٥٣٧ ، وابن يعيش في المفصل ج ٥ / ١١٩ ، وابن الأنباري في الإنصاف ج ١ / ٢٣١ رقم ١٦٩ بلفظ :

أَرْهَيْرُ إِنْ يَشْبِهَ الْقَذَالُ فَإِنَّهُ رُبَّ هَيْضَلٍ لِحَبْرٍ لَفَقْتُ بِهِيْضَلٍ

والفخر الرازي في تفسيره ج ١٩ / ١٢٠ ، وجمهرة اللغة ص : ٦٨ ، والمحتسب ج ٢ / ٤٠٤ ، والمعجم المفصل ج ٦ / ٥١٥ / ٥١٦ .

(١١) انظر : تفسير الفخر الرازي ج ١٩ / ١٢٠ / ١٢١ ، والكشاف ج ٢ / ٥٦٩ / ٥٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ / ١ / ٢ .

عبد الله الرازي ، الاتفاق على أنها موضوعة للتقليل باطلة ، وقول الزجاج : إن رب للكثرة ضد ما يعرفه أهل اللغة ليس بصحيح . وفيها لغات وأحكام كثيرة ، ذكرت في النحو ، ولم تقع في القرآن إلا في هذه السورة على كثرة وقوعها في لسان العرب ^(١٢) . وقد اختلف أهل العربية في معنى " ما " التي مع " رَبَّ " . فقال بعض نحويي البصرة " أُدْخِلَ مع " رَبَّ " ما " لِيُتَكَلَّمُ بالفعل بعدها ، وإن شئت جعلت " ما " بمنزلة شيء ، فكأنك قلت : رَبَّ شيءٍ يَوَدُّ ، أي : رَبَّ وَدَّ يَوَدُّه الذين كفروا . وقد أنكر ذلك من قوله بعض نحويي الكوفة ، وقال : المصدر لا يحتاج إلى عائد ، والوَدُّ ، وقد وقع على لو : ربما يَوَدُّون لو كانوا ، أن يكونوا ، وقال : وإذا أضمر الهاء في " لو " ليس بمفعول ، وهو موضع المفعول ، ولا ينبغي أن يترجم المصدر بشيء ، وقد ترجمه بشيء ثم جعله وُدًّا ، ثم أعاد عليه عائد ، فكان الكسائي والفراء يقولان : لا تكاد العرب تُوقِع " رَبَّ " على مستقبل ، وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل كقولهم : رَبِّمَا فعلتُ كذا ، وربِّمَا جاءني أخوك ، قالوا : وجاء في القرآن مع المستقبل : " رَبِّمَا يَوَدُّ " وإنما جاز ذلك ، لأن ما كان في القرآن من وعد ووعد وما فيه فهو حق ، كأنه عيان ، فجري الكلام فيما لم يكن بعد منه مجراه فيما كان كما قيل " ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم " [سورة السجدة / ١٢] . وقوله " ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت " [سورة سبأ / ٥١] . كأنه ماضي وهو منتظر لصدقه في المعنى ، وأنه لا مكذَّب له . وتأويل الكلام : ربما يَوَدُّ الذين كفروا بالله فجحدا وحدايته لو كانوا

(١٢) انظر : تفسير البحر المحيط ج ٥ / ٤٣١ .

في دار الدنيا مسلمين^(١٣). وقال الشوكاني : والمراد أنه لما انكشف لهم الأمر واتضح بطلان ما كانوا عليه من الكفر ، وأن الدين عند الله سبحانه ، هو الإسلام لا دين غيره ، حصلت منهم هذه الودادة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، بل هي لمجرد التحسر والتندم على ما فرطت في جنب الله . وقيل : كانت هذه الودادة كائنة منهم عند معاينة حالهم وحال المسلمين . وقيل : عند خروج عصاة الموحدين من النار ، والظاهر أن هذه الودادة كائنة منهم في كل وقت مستمرة في كل لحظة بعد انكشاف الأمر لهم^(١٤) .

(١٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ / ٦ / ٧ / ٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج

١٠ / ١ ، والكشاف ج ٢ / ٥٦٩ / ٥٧٠ .

(١٤) انظر : فتح القدير للشوكاني ج ٣ / ١٢١ .